العوائق الإبستيمولوجية وشروط بناء سوسيولوجيا القيم في ضوء مشروع ناتالي هاينيش

Epistemological Obstacles and the Conditions for Constructing a Sociology of Values in Light of Nathalie Heinich's Work

Mohamed EL KHADIRI محمد الخادري

طالب باحث في الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

Mohamed.elkhadiri1@uit.ac.ma

ORCID : 0009-0006-7263-8558

تحت إشراف:

د. عبد الغني شفيق Abdelghani CHAFIK

أستاذ التعليم العالي، علم الاجتماع

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

abdelghani.chafik@uit.ac.ma

ملخص

يعيد هذا المقال فتح النقاش السوسيولوجي حول مسألة القيم، ليس من حيث موضوعها، بل من حيث الشروط الإبستيمولوجية والمنهجية لمقاربتها علميا. فعلى الرغم من حضور القيم في مختلف فروع السوسيولوجيا، كسوسيولوجيا الدين، والسياسة، والفن، والتربية، والفضاءات الرقمية، والحياة اليومية، فإن هذا التداول الواسع لا يوازيه دوما بناء مفهومي ومنهجي صريح يجعل من القيم موضوعا مستقلا للبحث السوسيولوجي.

نتخذ من مقال ناتالي هاينيش "السوسيولوجيا على محك القيم" إطارا نظريا مؤطرا، ونقرؤه على ثلاثة مستويات: في مستوى الدلالة نتتبع كيف تتنازع كلمة "القيمة"، في العربية وفي اللغات ذات الأصل اللاتيني، معاني الثمن والاستقامة والتفضيل. وفي مستوى العوائق الإبستيمولوجية، نعيد بناء ما شخصته هاينيش من عوائق ثلاثة متشابكة: معيارية، وجوهرانية، ومنهجية. أما على مستوى الامتدادات، فنضع مشروعها في حوار مع الأدبيات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة، خاصة إميل دوركايم وماكس فيبر وجورج زيمل وبيير بورديو ورودولف ريزوهازي **وهانس يواس**. ونخلص إلى أن سوسيولوجيا القيم لا تستقيم إلا بثلاث نقلات مترابطة: من الحكم على القيم إلى وصف علاقة الفاعلين بها، ومن السؤال عن ماهيتها إلى تتبع استعمالاتها في المواقف والسلوكات، ومن التأمل المجرد إلى تحقيق إمبريقي فهمي وبراغماتي.

الكلمات المفاتيح: سوسيولوجيا القيم، الحياد القيمي، البراغماتية، المقاربة الفهمية، ناتالي هاينيش.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

Abstract

This article seeks to reopen the sociological debate on values, addressing not their substance but the epistemological and methodological conditions for studying them scientifically. Values pervade many sociological branches, including religion, politics, art, education, digital spaces and everyday life, yet this widespread use is not always matched by an explicit conceptual and methodological construction making values an autonomous object of inquiry. Taking Nathalie Heinich's "La sociologie à l'épreuve des valeurs" as our guiding framework, we read it on three levels. Semantically, we trace how "value," in Arabic and Latin-derived languages, carries competing meanings of price, rectitude and preference. Epistemologically, we reconstruct Heinich's three intertwined obstacles: normative, essentialist and methodological. Finally, we extend her project through dialogue with Durkheim, Weber, Simmel, Bourdieu, Rezsohazy and Joas. We conclude that a sociology of values is viable only through three interrelated shifts: from judging values to describing actors' relationships to them; from asking what values are to tracing their uses in situations and conduct; and from abstract speculation to empirical, interpretive and pragmatic inquiry.

Keywords: sociology of values; value neutrality; pragmatism; interpretive approach; Nathalie Heinich.

مقدمة:

قلما يخلو بحث سوسيولوجي من كلمة "القيم"، فنجدها في سوسيولوجيا الأديان حين يسأل عن التدين وتحولاته، وفي علم الاجتماع السياسي حين يفسر الانتماء والعزوف، وفي سوسيولوجيا التربية حين تحمل المدرسة مهمة تكريس القيم وترسيخها لدى المتعلمين، ثم في سوسيولوجيا الحياة اليومية. هذا الحضور الكثيف يخفي غموضا مفهوميا لافتا، فكلمة القيم تستعمل أكثر مما تعرف، وتستدعى أداة للتفسير قبل أن تبنى موضوعا يحتاج هو نفسه إلى تفسير. من هذه المفارقة ينطلق مقال ناتالي هاينيش الذي فتح النقاش حول مدى إمكان قيام سوسيولوجيا للقيم تتحرر من النزعة المعيارية ومن الإرث الفلسفي الجوهراني في آن واحد[1].

ولم يكن هذا التشخيص حكرا على السياق الفرنسي، حيث وصف ستيفن هيتلين وجين ألين بيليافين القيم بأنها "مفهوم خامل" في السوسيولوجيا الأنجلوسكسونية، رغم مركزيتها في نصوص الرعيل الأول المؤسس

[1] Nathalie Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », *Cahiers internationaux de sociologie* 121, no 2 (2006): pp 287–288.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

للسوسيولوجيا، وخلصا إلى أن إحياءه مشروط بتمييزه عن مفاهيم مجاورة، كالاتجاهات والمعايير والحاجات والسمات الشخصية[2]. ثم جاءت مراجعة لاحقة لهيتلين وستيفن فايسي تتحدث عن سوسيولوجيا جديدة للأخلاق، تستعيد سؤال الأحكام الأخلاقية بوصفه سؤالا إمبريقيا لا فلسفيا[3]. ونستخلص من التقاء هذه التشخيصات النظرية، أن المشكلة تتصل ببنية الحقل ذاته. وجزء من هذه المشكلة لغوي قبل أن يكون إبستيمولوجيا ونظريا. فالمفهوم يقع عند تقاطع حقول معرفية كالفلسفة والاقتصاد وعلم النفس والسوسيولوجيا، وقد صاغ له كل حقل دلالة تناسب مرجعياته وأدواته، حتى أصبح من الصعب ضبطه ضمن تعريف واحد، بل قد نجد تعددا في دلالته داخل الحقل المعرفي نفسه. وقد انعكس هذا التعدد المفاهيمي على المستويين المنهجي والإمبريقي، إذ تنوعت أدوات دراسة القيم وتقنياتها بتنوع البراديغمات المؤطرة لها، وتحول السؤال عن طبيعة القيم وعن حدود الحياد القيمي إلى سؤال عن العلاقة المتشابكة بين الذات الباحثة وموضوعها.

يتجاوز هذا المقال سؤال حقيقة القيم ومشروعيتها الأخلاقية، وينطلق من سؤال: ما الشروط التي تجعل القيم موضوعا للتفكير السوسيولوجي بامتياز؟ وما العوائق الإبستيمولوجية والمنهجية التي حالت تاريخيا ونظريا دون قيام سوسيولوجيا للقيم بالمعنى الدقيق؟ وأي بديل نظري ومنهجي يسمح بتجاوزها؟ ثم أين يقع مشروع ناتالي هاينيش داخل مسار التفكير السوسيولوجي في القيم، الذي يمتد من دوركايم وفيبر إلى ريزوهازي ويواس؟

نستهل تحليل موضوع هذا المقال بتمهيد مفهومي يفكك الحقل الدلالي لكلمة "القيمة"، ويكشف ما تحمله التعريفات المتداولة من افتراضات ضمنية، ثم ننتقل إلى العوائق الإبستيمولوجية كما شخصتها هاينيش، فإلى تحديد الوضع الأنطولوجي للقيم، ثم نعالج الشروط المنهجية لسوسيولوجيا وصفية للقيم، مع إشارات إلى المجال التربوي، قبل أن نضع المشروع في سياقه النظري الأوسع بالاستناد إلى الأدبيات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة. وتأتي الخلاصة لتجمع الرهانات العلمية لهذا التحول.

[2] Steven Hitlin and Jane Allyn Piliavin, "Values: Reviving a Dormant Concept," *Annual Review of Sociology* 30 (2004): pp 359–361.
[3] Steven Hitlin and Stephen Vaisey, "The New Sociology of Morality," *Annual Review of Sociology* 39 (2013): pp 51–53.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

أولا: في دلالة مفهوم القيم

1- الجذر اللغوي وازدواج المعنى

ورد في لسان العرب أن القيمة هي ما يقدر به الشيء من ثمن أو مقدار، أي ما يعادله ويقوم مقامه، فيقول: "والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم"، والجمع قِيَم، ويقال: "قوَّم السلعة واستقامها: قدَّرها". غير أن الجذر نفسه "قوم" يحمل معاني الاستقامة والاعتدال والثبات، فأهل مكة يقولون: "استقمت المتاع" أي قومته، و"قام ميزان النهار" أي اعتدل، و"القائم بالدين" هو المستمسك به الثابت عليه، وكل من ثبت على شيء فهو قائم عليه[4].

هذا التعريف يتجاور معنى اقتصاديا تقديريا يتعلق بالثمن وبما يعادل الشيء، ومعنى أخلاقيا معياريا يتعلق بالاستقامة وبما يقوم عليه الشيء إذ يسجل في اللغة ما ستعيد السوسيولوجيا اكتشافه بعد قرون: أن التقدير عملية اجتماعية تنتج الأسعار والأحكام الأخلاقية معا، وأن الحد الفاصل بين "ما يساوي" و"ما يستحق" أقل صلابة مما توحي به التقسيمات الأكاديمية. وتعود هاينيش إلى هذا التعدد الدلالي، فتميز بين القيمة بوصفها مقدارا يسند إلى شيء، والقيمة بوصفها الشيء المثمَّن ذاته، والقيمة بوصفها مبدأ يستند إليه التقييم[5].

أما مفهوم القيمة في اللغات الأوروبية لا يختلف كثيرا، فكلمة valeur الفرنسية تعود إلى اللاتينية valor، المشتقة من الفعل Valère، وكانت تدل في أصل استعمالها على الشجاعة والبأس في القتال، ثم تطور معناها لتدل على ما يساويه الشيء أو الشخص، ثم على ثمن الشيء، فإلى التقدير المعنوي الذي يحظى به بحسب قربه من النموذج المثالي أو بعده عنه، أما القيمة الحقيقية أو المجردة فتؤول، في هذا المسار، إلى المنفعة التي يحققها الشيء[6]. فمفهوم القيم بمعناه الحديث، لم يكن متداولا في التراث العربي، إذ استُدمج من العلوم الاقتصادية عبر عبارات من قبيل "قيمة المنفعة" و"قيمة المبادلة"، بينما كان ما نسميه اليوم قيما يندرج عند الأصوليين ضمن مفهوم الأخلاق[7].

إن الأصل الاقتصادي لمفهوم القيم له تبعات منهجية، فما جاء من لغة السوق يحمل معه وعد القابلية للقياس الكمي: إذا كان للقيمة سعر، فلا شيء يمنع في الظاهر من ترتيب القيم وقياس شدتها وجمعها في

---

[4] ابن منظور، *لسان العرب*، ط 3 (بيروت: دار صادر، 1414هـ/1994)، مج 12، مادة (قوم)، 496–506، ولا سيما ص 499–500.

[5] Nathalie Heinich, Des valeurs. Une approche sociologique (Paris : Gallimard, 2017), pp 131–139.

[6] محمد عابد الجابري، *العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية*، ط 2 (الدار البيضاء، 2002)، ص 55.

[7] رشيد الجرموني، «الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية: دراسة سوسيولوجية بعمالة سلا»، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2013، ص42.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

جداول، وسنرى في ما سيأتي أن هذا الوعد بالذات هو ما تضعه هاينيش موضع مساءلة حين تنتقد المسوح الكمية للقيم.

2- التعريفات المعجمية وتضخم المفهوم

حين ننتقل من المعاجم اللغوية إلى المعاجم المتخصصة، يتسع المفهوم بدل أن يضيق، حيث يعرف **معجم رينال وريونيي البيداغوجي** القيم بأنها "مبادئ يتمسك من خلالها الأفراد أو المجتمع بتفضيلات معينة"، ويضيف أنها "عناصر أساسية للأخلاق، حيث القيمة هي كل ما يستحق أن يضحى من أجله"[8].

ويذهب **معجم علوم التربية** إلى أنها "مجموع معتقدات واختيارات وأفكار تمثل أسلوب تصرف الشخص ومواقفه وآراءه، ومدى ارتباطه بجماعته"[9]. وفي **المعجم النقدي للسوسيولوجيا** تعرف القيم بأنها "معايير جماعية تظهر في سياق مؤسساتي، تساهم في تنظيمه"[10].

تكشف قراءة هذه التعريفات ظاهرة سمتها ناتالي هاينيش: توسيع مفهوم القيمة إلى أن يصير مرادفا للرأي والموقف والتفضيل والحاجة[11]. فتعريف **معجم علوم التربية** يجمع في جملة واحدة المعتقدات والاختيارات والأفكار والمواقف والآراء، كأنها مستوى تحليلي واحد. أما **تعريف رينال وريونيي** فيمزج الوصف (يتمسك الأفراد) بالتقرير المعياري (ما يستحق أن يضحى من أجله). وهذا الخلط هو بالضبط ما دعا هيتلين وبيليافين إلى فكه بالتمييز الصارم بين القيم وما يجاورها من مفاهيم[12].

ونشير إلى ملاحظة تخص الحقل التربوي، فالقيم في المدرسة ليست موضوعا للدراسة فحسب، إنها أيضا غاية معلنة للفعل التربوي. **فالمعجم البيداغوجي** يعرف القيمة وهو يفكر في ما ينبغي غرسه في الأجيال، والباحث في سوسيولوجيا التربية يجد نفسه، طرفا في مشروع تنشئة. ولعل هذا ما يجعل العائق المعياري الذي سنقف عنده في ما سيأتي أشد حدة في البحث التربوي منه في سائر الفروع المعرفية.

---

[8] Françoise Raynal et Alain Rieunier, *Pédagogie : dictionnaire des concepts clés. Apprentissages, formation et psychologie cognitive* (Paris : ESF éditeur, 1997), s.v. « Valeur », P 375.

[9] عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم *علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك*، سلسلة علوم التربية 9-10 (الدار البيضاء: دار الخطابي، 1994)، مادة «قيمة»، ص359.

[10] Raymond Boudon et François Bourricaud, *Dictionnaire critique de la sociologie* (Paris : PUF, 1982), s.v. « Valeurs ».

[11] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », pp 306–309.

[12] Hitlin and Piliavin, "Values," p 361.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

3- بين المعيار المطلق والتفضيل الجماعي

يتحدد مفهوم القيم في الفلسفة ضمن مبحث الأكسيولوجيا (Axiologie)، أي علم القيم، الذي توزع تقليديا على ثلاثة مباحث: الحق والخير والجمال. وانقسم الفلاسفة في شأنه بين من رأى القيم صفات عقلية يسندها الناس إلى الأشياء بحسب ما لهم فيها من غاية، فلا توجد إلا حيث توجد الغاية، ومن منحها وجودا مستقلا عن العقل حتى جعلها بعضهم جوهر الأشياء نفسه. وهذا الانقسام، كما تلاحظ هاينيش، هو ما يعيد إنتاج السؤال الماهوي "ما القيم؟" داخل السوسيولوجيا ذاتها[13].

يمثل تعريف طه عبد الرحمن نموذجا دالا على هذا الأفق الفلسفي، فالقيمة عنده هي "المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه"[14]. هذا التعريف متماسك داخل مشروعه الأخلاقي، لكن فعل "يستحق" فيه يكشف موقعه، إنه يقرر ما ينبغي التطلع إليه، وهذا بالضبط ما لا يملك السوسيولوجي أن يقرره إن أراد البقاء داخل حدود علمه.

أما محمد سبيلا فيقترب من منظور سوسيولوجي حين يدرج القيم في سياق تحولات المجتمع المغربي، بوصفها جزءا من البنية الثقافية والمعيارية التي تؤطر السلوك الاجتماعي وتوجه اختيارات الأفراد والجماعات. فهي تمثل بالنسبة إليه "مجموع المعتقدات والتمثلات والآراء ذات الصبغة الأخلاقية أو التوجيهية، والتي تتضمن تمييزات إيجابية أو سلبية، يجعلها تتحول إلى مبادئ محفزة وموجهة أو معايير سلوكية"[15]. تتجلى قيمة هذا التعريف في ثنائية التفضيل والتبخيس، تنقل القيم بوصفها أشياء إلى عمليات الرفع والخفض التي يمارسها الفاعلون، وهي عمليات قريبة مما يمكن أن نسميه "التثمين" و"التقييم".

وينطلق البحث الوطني حول القيم، من أن القيم مفهوم مركب متعدد الأبعاد، بالنظر إلى تنوع دلالاته واستعمالاته، وإلى كونه موضوع تعارض وصراع داخل المجتمع، وفي هذا الأفق يعرفها بأنها تفضيلات قد يتقاسمها الأشخاص والمجموعات الاجتماعية أو لا يتقاسمونها[16]. يلتقي هذا التعريف مع أطروحة هاينيش

---

[13] Heinich, op. cit., pp 292–295.

[14] طه عبد الرحمن، *تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟*، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس 3 (مراكش: جامعة القاضي عياض، 2001)، ص 11.

[15] محمد سبيلا، *في تحولات المجتمع المغربي*، ط 1 (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2010)، ص 133.

[16] حسن رشيق (مقرر)، بإشراف لجنة علمية ضمت رحمة بورقية وعبد اللطيف بنشريفة ومحمد الطوزي، «التقرير التركيبي للبحث الوطني حول القيم»، ضمن *تقرير خمسين سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق 2025* (الرباط، 2006)، ص 10.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

حول تعدد القيم وقابليتها للنزاع، غير أن ردها إلى تفضيلات يعرضها لما حذرت منه هاينيش نفسها، أي ذوبان القيمة في الذوق والرأي، وفقدانها لما يميزها من طاقة تبريرية.

من هذه التعريفات يمكن استخلاص اتجاهين أساسيين: الأول ينظر إلى القيم باعتبارها معايير أخلاقية مطلقة تؤطر سلوك الأفراد والمجتمعات، وتحدد مواقفهم وميولاتهم، وتمثل غايات ومثلا عليا تتسم بالمشروعية وبالمشاعر المشتركة داخل الجماعة، ولا تختزل في مثل مجردة، بل تؤدي وظائف عملية في توجيه الأفعال والاختيارات والأحكام، فتغدو آلية لتنظيم الحياة الاجتماعية؛ والثاني يراها تفضيلات جماعية نسبية تتغير بتغير الجماعات والسياقات، وقد تكون موضع نزاع. ويقع تصور غي روشيه في منطقة وسطى بينهما، إذ يرى في القيم نسقا موجها للتفكير والفعل لدى الجماعات، يتخذ طابعا معياريا يحدد السلوكات والمواقف[17].

يتضح أن ما يجمع هذه التعريفات، أن القيم لا تنشأ في فراغ، وأنها وليدة ظروف اجتماعية ونسقية متداخلة، دينية وثقافية واقتصادية وسياسية، وهو اقتناع يستعيد، الأطروحة الدوركايمية التي تؤسس لموضوعية الظاهرة الاجتماعية ولوجودها خارج الإرادات الفردية المعزولة[18]. لكن الاتجاهين يسقطان، في ما تسميه هاينيش البديل المغلق: إما أن تكون القيم موضوعية مطلقة، وإما أن تكون ذاتية تفضيلية.

ثانيا: العوائق الإبستيمولوجية أمام بناء سوسيولوجيا القيم

1- صعوبة القطيعة مع المعيارية

أول ما يعترض سوسيولوجيا القيم في نظر هاينيش، هو النزعة المعيارية الكامنة في الممارسة السوسيولوجية ذاتها. فالقيم، متى دخلت الخطاب السوسيولوجي، تستدرج الباحث إلى اتخاذ موقف منها، فيدافع عنها أو يدينها أو يتخذها مقياسا يحاكم به الواقع الاجتماعي. وفي كل حالة تبقى القيم محصورة داخل أفق التقويم الأخلاقي، بدل أن تعامل مكونا من مكونات الحياة الاجتماعية قابلا للوصف والتحليل[19].

وتجسد هاينيش أعراض هذا الالتباس في عبارة "السوسيولوجيا الأخلاقية" الموروثة عن التقليد الدوركايمي، فهذه العبارة في نظرها تبقى غامضة، هل تعني علما وصفيا يدرس الوقائع الأخلاقية كما تتجلى في

[17] Guy Rocher, *Introduction à la sociologie générale*, t. 1, *L'action sociale* (Paris : Seuil, coll. « Points », 1970), p 72.
[18] Émile Durkheim, *Les règles de la méthode sociologique* (Paris : PUF, coll. « Quadrige », 2002 [1895]), pp 3–14.
[19] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », pp 288–290.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

المجتمع، أم خطابا يمنح مشروعا أخلاقيا معياريا غطاء علميا؟ ومن هنا تعود إلى النقاش الذي أثاره لوسيان ليفي–بروهل مطلع القرن العشرين، حين دعا إلى التخلي عن الفلسفة الأخلاقية لصالح "علم للأخلاق والعادات" وصفي ووضعي. لكن هذا الانتقال لم يكتمل داخل السوسيولوجيا الفرنسية، لأن دوركايم نفسه بقي معلقا بين علم موضوعي للوقائع الأخلاقية والحفاظ على أفق فلسفي يطمح إلى تأسيس أخلاق عقلانية عامة[20].

يتضح أن المعيارية ليست انحرافا طارئا أصاب سوسيولوجيا القيم في مسارها، إنها محفورة في لحظة التأسيس نفسها، وهذا ما يفسر عودتها المتكررة بأشكال مختلفة، مرة في صيغة "التربية على القيم" التي تجعل الباحث التربوي شريكا في مشروع التنشئة، ومرة أخرى في صيغة "أزمة القيم" التي تفترض سلفا معيارا مفقودا يقاس إليه الحاضر.

2- الحياد القيمي الفيبري شرط للمعرفة

تستعيد هاينيش مبدأ الحياد الأكسيولوجي عند ماكس فيبر شرطا إبستيمولوجيا لا يمكن الاستغناء عنه. والحياد القيمي هنا لا يعني أن الباحث بلا قيم، ولا ينكر أثر مرجعياته في اختيار مشكلاته وصياغتها. بل يعني شيئا أدق يتمثل في الفصل بين تحليل علاقة الفاعلين بالقيم وإصدار الباحث حكما قيميا عليها. فليس على السوسيولوجي أن يقرر إن كانت الحرية أو العدالة أو الكرامة قيما صحيحة أو واجبة، لكن عمله ينحصر في وصف الكيفية التي تشتغل بها تلك القيم داخل المجتمع، وكيف تستدعى في الخطابات، وتستعمل في التبرير والتقييم، وتبنى عليها الشرعيات وتنشأ حولها الخلافات[21].

لكن هذا المبدأ الذي يحتل مكانة مركزية في الخطاب المنهجي لم يتحول دائما إلى ممارسة بحثية مستقرة، فالسوسيولوجيا الفرنسية ظلت مشدودة إلى نموذج المثقف الملتزم الذي يحول المعرفة الاجتماعية إلى أداة للتدخل الأخلاقي والسياسي، فيصعب معه الحفاظ على المسافة الإبستيمية بين الباحث وموضوعه[22].

[20] Heinich, op. cit., pp 289–290; voir aussi Lucien Lévy-Bruhl, *La morale et la science des mœurs* (Paris : Félix Alcan, 1903), pp 1–34.
[21] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », pp 290–293 ; Max Weber, « Essai sur le sens de la "neutralité axiologique" dans les sciences sociologiques et économiques », dans *Essais sur la théorie de la science*, trad. Julien Freund (Paris : Plon, 1965), 475–526, en part. pp 486–488.
[22] Heinich, op. cit., pp 291–292.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

3- العائق الجوهراني ونقد اعتراضات شتراوس

لا يقل العائق الجوهراني خطورة عن العائق المعياري، فبدل أن تطرح القيم بوصفها مبادئ للتقييم تتجلى في الأفعال والخطابات والمواقف، تطرح في سؤال ماهوي: ما القيم؟ وما طبيعتها؟ هل هي مطلقة أم نسبية؟ هذا النمط من السؤال مشروع داخل الفلسفة الأخلاقية، لكنه يصرف النظر عن القيم كما تعاش وتوظف في الحياة الاجتماعية اليومية، ويردها إلى كيانات مجردة يُبحث عن ماهيتها المتعالية[23].

في هذا السياق تناقش هاينيش اعتراضات ليو شتراوس على ماكس فيبر، حيث رأى شتراوس في الحياد القيمي وجها من وجوه العدمية، أو تسوية غير مشروطة بين القيم. وبينت هاينيش أن هذا النقد يقوم على ثلاث مغالطات. تتمثل الأولى في خلط بين تحليل العلاقة بالقيم وإصدار الحكم القيمي، فأن يصف الباحث احتكام الفاعلين إلى قيمة ما لا يعني أنه يتبناها أو يرفضها. وتتجسد الثانية في الاستدلال على بطلان المبدأ بعدم التزام فيبر الكامل به، والحال أن التقصير في تطبيق مبدأ لا يسقط مشروعيته المعرفية. في حين ترتبط الثالثة بعدم التمييز بين موقع الباحث وموقع المواطن، فوظيفة السوسيولوجي ليست ترديد البداهات الأخلاقية، بل تفسير آليات الفعل والحكم والتبرير[24].

فمطالبة السوسيولوجي بإعلان موقفه الأخلاقي من موضوعه تنطوي في العمق على مصادرة ضمنية، أي أنه لا يمكن قيام معرفة سوسيولوجية بالقيم أصلا، وأن كل حديث عنها إما دفاع أو هجوم.

ثالثا: وضعية القيم: من الأنطولوجيا إلى البراغماتية

1- مأزق التمييز بين الوقائع والقيم

تحتل مسألة التمييز بين الوقائع والقيم موقعا محوريا في حجاج هاينيش، حيث ترى أنه لا سبيل إلى سوسيولوجيا للقيم ما لم يُعترف بأن القيم لا تنتمي إلى نمط الوجود الذي تنتمي إليه الوقائع الطبيعية، دون أن يعني ذلك خروجها من الواقع أو انقلابها إلى أوهام ذاتية، فالمشكلة أن مقاربات متعددة حصرت النقاش في بديلين فقط: قيم موضوعية مطلقة، أو قيم ذاتية لاعقلانية.

[23] *Ibid.*, pp. 292–295.
[24] *Ibid.*, pp. 293–294.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وتستعرض هاينيش مواقف متباينة لتظهر حدود هذا الحصر، فريمون بودون يريد إنقاذ عقلانية القيم بردها إلى أسباب قابلة للتبرير العقلي، ويرفض برونو لاتور الانقسام بين الواقع والتمثل. لتبقى النتيجة واحدة، حيث لا يمنح أي منهما القيم وضعها السوسيولوجي الدقيق، فالمنطلق الأول يردها إلى عقلانية معيارية تنزع عنها طابعها الاجتماعي الملموس، والثاني يذيبها في بنائية عامة تمحو خصوصيتها[25].

2- المنعطف البراغماتي والوقائع الذاتية أنطولوجيا

تقترح هاينيش مخرجا يتمثل في الانتقال من الأنطولوجيا إلى البراغماتية، فلا يعود السؤال عن ماهية القيم ، بل عن أنماط حضورها واستعمالها في الواقع الاجتماعي، فالقيم لا تظهر إلا حين تستدعى في تبرير، أو يحتج بها في نزاع، أو تستعمل لتأهيل فعل أو شخص أو شيء. في هذا الصدد تستعين هاينيش بتمييز جون سيرل بين الوقائع الموضوعية أنطولوجيا والوقائع الذاتية أنطولوجيا، لتضع القيم في الصنف الثاني، غير أن هذه الذاتية لا تعني الاعتبار الفردي، فالقيم تستند في الغالب إلى قصدية جماعية وإلى أشكال من الاعتراف المشترك، فهي واقع اجتماعي من طبيعة خاصة، يقوم على التفاعل والتلفظ والاشتراك في أنماط التقييم، ويظل مع ذلك قابلا للتتبع والوصف والتحليل[26].

تتجلى قيمة هذا المنعطف في كونه يستبدل سؤالا خاطئا بسؤال ملائم. "ما القيم في ذاتها؟" سؤال يقود إلى الميتافيزيقا أو إلى الوعظ، أما سؤال "كيف تعمل القيم داخل المجتمع؟" يقود إلى الميدان. وبهذا الاستبدال تغادر القيم فضاء التجريد إلى فضاء الممارسة. ولعل ثنائية التفضيل والتبخيس عند محمد سبيلا، إن قرئت على هذا النحو، تكتسي معنى أدق، بحيث لا تعود صفة لمحتوى القيم، بل وصفا لعمليات يمارسها الفاعلون ويمكن ملاحظتها.

[25] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », 295–301 ; voir Raymond Boudon, *Le juste et le vrai. Études sur l'objectivité des valeurs et de la connaissance* (Paris : Fayard, 1995) ; Bruno Latour, *Nous n'avons jamais été modernes. Essai d'anthropologie symétrique* (Paris : La Découverte, 1991).
[26] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », 301–303 ; voir John R. Searle, *The Construction of Social Reality* (New York: Free Press, 1995), pp 8–12.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

رابعا: الشروط المنهجية لسوسيولوجيا القيم

1- حدود المقاربة الكمية

بعد معالجة الإطار النظري، تنتقل هاينيش إلى المنهج، وهي في الحقيقة لا تنكر ما حققته الأبحاث الكمية منذ أعمال ميلتون روكيتش إلى المسوح الدولية الكبرى، من انتقال فعلي من التأمل إلى الميدان، لكنها تراها عاجزة عن الإمساك بالبنية الفعلية للعلاقة بالقيم[27]. فالأسئلة العامة من قبيل "هل الحرية قيمة مهمة؟" أو "هل تحتل الأسرة مكانة أساسية في حياتك؟" لا تنتج غالبا إلا إجماعا واسعا لا يكشف شيئا حاسما، أما أدوات توسع المفهوم حتى يصير مرادفا للرأي والموقف والتفضيل والحاجة، فتخلط مستويات تحليلية متباينة، وتطبق على وقائع ذاتية بروتوكولات صممت لوقائع موضوعية، فتفرض على الظاهرة القيمية قوالب لا تنبع من خبرة الفاعلين، وتنتزعها من سياقات اختبارها[28].

يلتقي هذا النقد مع الأصل الاقتصادي للكلمة، فالمسح الكمي يعامل القيمة كما يعامل السوق والسلعة، يرتبها ويقيس شدتها ويجمعها، وهي معاملة ممكنة تقنيا، لكنها تفترض ما ينبغي البرهنة عليه.

2- أولوية المقاربة الكيفية وجهازها التحليلي

دافعت هاينيش عن أولوية المقاربة الكيفية لدراسة القيم، لأن موضوع القيم يتطلب أدوات قادرة على استعادة المعنى في سياقه، وعلى ملاحقة عمليات التبرير والتأهيل والانتقاد كما يمارسها الفاعلون في الوضعيات اليومية. ومن هنا تأتي أهمية الملاحظة الميدانية، والمقابلة المعمقة، وإعادة بناء الخبرة العملية للفاعلين.

تقترح جهازا تحليليا متدرجا من أربعة مستويات. الأول يتعلق بالمرتكزات، أي السمات التي يلتقطها الفاعل في شيء أو فعل أو شخص. ويتعلق الثاني بالمعايير التي يعتمدها الفاعل في إصدار حكمه. أما الثالث فيخص القيم التي تمنح هذه المعايير مشروعيتها، ويتناول الرابع سجلات القيم وأنظمة التأهيل، وهي الأطر التي تنتظم داخلها الأحكام المختلفة، وتفسر اتساقها كما تفسر تعارضها. تكمن قوة هذا الجهاز في أمرين: أولهما أنه يعيد بناء القيم بطريقة استقرائية انطلاقا من الممارسات الفعلية للتقييم، وثانيهما يبين أنها قد تنجم

[27] Heinich, « La sociologie à l'épreuve des valeurs », PP 305–306 ; voir Milton Rokeach, *The Nature of Human Values* (New York: Free Press, 1973), P 5.
[28] Heinich, op.cit, pp 306–309.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

أحيانا عن تعارض بين سجلات قيمية مختلفة، يجعل الفاعلين يختلفون أصلا حول نوع التقييم المشروع في الموقف[29].

تخلص هاينيش إلى أن للقيم ثلاث خصائص أساسية. فهي أولاً متعددة، إذ تختلف باختلاف الحقول والسياقات. وثانياً ليست دائماً واعية أو مصرّحاً بها، لأن اشتغالها يخضع لمنطق عملي وحجاجي يستطيع الباحث إعادة بنائه. وثالثاً ليست موضوعية خالصة ولا ذاتية خالصة، بل تتشكّل عند تقاطع ثلاثة عناصر: خصائص الأشياء موضوع التقييم، وكفاءات الفاعلين، والسياقات التي يجري فيها التقييم. وانطلاقا من هذه الخصائص، يتحدّد مشروع هاينيش بوصفه سوسيولوجيا للقيم تتّسم بأنها وصفية، وإمبريقية، وبراغماتية، وفهمية[30].

خامسا: الامتدادات السوسيولوجية لسؤال القيم

دافعت هاينيش بقوة عن سوسيولوجيا وصفية للقيم، لكن هذا الموقف لا يتضح إلا حين يوضع في تاريخ ومسار أطول، يبين أن سؤال القيم لم يغب عن التفكير السوسيولوجي، وإنما حضر بأشكال متنوعة تبعا للتصور المتبنى لطبيعة الفعل الاجتماعي، ولمصدر النظام الاجتماعي، ولوظيفة التقييم في الحياة المشتركة.

1- إميل دوركايم: القيم كوقائع اجتماعية ذات قوة إلزامية

لم يؤسس دوركايم سوسيولوجيا للقيم بالمعنى المتداول اليوم، لكن تصوره للواقعة الاجتماعية فتح الباب لإدراج القيم ضمن الظواهر الجمعية التي تمارس على الأفراد سلطة خارجية وإلزامية، فالأخلاق عنده لا تفهم إلا انطلاقا من ضمير جمعي للمجتمع بوصفه مصدرا للمعايير ولأشكال التصنيف وللواجبات، حيث أن القيمة لا تدرس من زاوية صدقها الميتافيزيقي، لكنها من خلال زاوية وظيفتها في إنتاج التضامن وتنظيم السلوك[31]. وبالتالي فالمساهمة المركزية لدوركايم تكمن في نقل القيم من التأمل الفلسفي في الخير إلى التحليل السوسيولوجي للمعيار بوصفه واقعة جمعية،. إن التردد الذي رصدته هاينيش بين الوصف والتأسيس

[29] Ibid., pp. PP 310–313.
[30] Ibid., pp. PP 310–313.
[31] Durkheim, *Les règles de la méthode sociologique*, 3–14 ; Émile Durkheim, *Sociologie et philosophie* (Paris : PUF, coll. « Quadrige », 2014 [1924]), PP 41–74, 95.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الأخلاقي يظل قائما في نصوصه، ويذكر بأن الأب المؤسس للسوسيولوجيا الكلاسيكية الفرنسية كان هو نفسه أول من جسد العائق المعياري.

2- ماكس فيبر: القيم بوصفها أفقا للمعنى لا موضوعا للحكم

بلغت سوسيولوجيا القيم مع الطرح الفيبري لحظة حاسمة، لأنه لم يكتف بجعل القيم عنصرا مكونا للفعل الاجتماعي، وإنما عمل على صياغة الشرط المنهجي الذي يسمح بدراستها علميا، لكون الفعل الاجتماعي عنده لا يفهم إلا من خلال المعنى الذي يسنده إليه الفاعلون وبالتوجهات القيمية التي تمنحه وجهته[32]. ومن هنا يبرز نمط الفعل العقلاني بالنسبة إلى القيمة، حيث يتصرف الفرد وفق مبدأ يراه جديرا بالاتباع بغض النظر عن مصلحته المباشرة أو عن نتائج فعله. فالباحث عند فيبر يميز بين الصلة بالقيم التي توجهه في اختيار موضوعه وتحديد ما هو ذو دلالة ثقافية والحكم القيمي الذي يقع خارج دائرة العلم[33]. وبهذا المعنى لا يعني الحياد القيمي إقصاء القيم، لذلك ينحصر موضوع السوسيولوجيا في دراسة علاقة الفاعلين بالقيم لا دراسة القيم في ذاتها، أي أن القيم تغدو أفقا للمعنى ينبغي فهمه لا موضوعا للحكم.

3- جورج زيمل: القيمة كعلاقة اجتماعية تتجاوز ثنائية الذات والموضوع

فكّر زيمل في القيمة خارج الثنائية البسيطة بين الذاتي والموضوعي. فالقيمة في تحليله تتحدد داخل علاقة تتوسط بين الموضوع والرغبة والمسافة الاجتماعية والرمزية التي تحيط به؛ إنها حصيلة التفاعل بين الرغبة والندرة والاعتراف، وبناء علائقي يتشكل في أنماط التبادل والتقدير[34]. واللافت أن زيمل بلغ هذا التصور وهو يحلل النقود، أي من داخل المعنى الاقتصادي للكلمة . كأن ازدواج «الثمن» و«الاستقامة» في الجذر اللغوي يجد عنده صياغة نظرية: التقدير الاقتصادي والتقدير الأخلاقي يصدران عن آلية علائقية واحدة.

4. بيير بورديو: القيم بين الشرعنة والهيمنة

القيم عند بورديو ليست معايير محايدة ولا مبادئ متعالية، بل تندرج في علاقات القوة والهيمنة الرمزية. الأحكام القيمية ترتبط بالبنيات الاجتماعية وبالتنشئة وبالهابيتوس، وتتحدد داخل الحقول بحسب توزيع

[32] Max Weber, *Économie et société*, t. 1, trad. sous la dir. de Jacques Chavy et Éric de Dampierre (Paris : Plon, 1971), PP 4, 22–23.
[33] Max Weber, « L'objectivité de la connaissance dans les sciences et la politique sociales », dans *Essais sur la théorie de la science*, pp 157, 160.
[34] Georg Simmel, *Philosophie de l'argent*, trad. Sabine Cornille et Philippe Ivernel (Paris : PUF, 1987), 21–124, en part. pp 30–35.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الرساميل وأنماط الشرعية، فتصير جزءًا من آليات التمييز وإنتاج المشروعية[35]. وأهمية هذا المنظور أنه يذكّر بأن القيم لا تُدرس فقط من حيث دلالتها المعيارية، بل أيضًا من حيث شروط إنتاجها الاجتماعي ووظيفتها في تكريس الفوارق والمراتب، وهو تذكير له وزن خاص في سوسيولوجيا التربية، حيث تتقاطع أحكام «الذوق» و«الموهبة» مع الأصل الاجتماعي.

لكن هذا المنظور قد ينتهي إلى اختزال القيم في آثار الهيمنة، فيُعامل الفاعل الذي يحتج بالعدالة أو بالاستحقاق كما لو كان يخفي، مصلحة طبقية. وهذا ما حاولت هاينيش تجاوزه حين رفضت أن تستعمل القيم إما لتأسيس معيار، وإما لتفكيك وهم.

5. رودولف ريزوهازي: نحو سوسيولوجيا نسقية للقيم

يقدّم رودولف ريزوهازي (Rudolf Rezsohazy) نموذجاً لسوسيولوجيا نسقية للقيم، تتناولها من حيث تعريفها ونشأتها واكتسابها وانتظامها في أنساق، وتتتبّع تحوّلاتها في مجالات السياسة والدين والعمل، مستندةً إلى بحوث ميدانية واسعة حول تطوّر القيم في أوروبا[36]. وتكمن أهمية هذا الإسهام في أنه يُدخل البعد الزمني الذي يكاد يغيب عن جهاز هاينيش، فيجعل تغيّر القيم موضوعاً قابلاً للتحليل والتشخيص. فهو يقيس القيم بمعطيات استبيانية منفصلة عن المواقف، ويخصّص حيّزاً لمعايير الحكم القيمي «السليم»، فيُبقي على بُعد معياري تسعى هاينيش إلى تعليقه منهجياً. وبذلك يقف ريزوهازي في منتصف الطريق بين سوسيولوجيا تشخّص القيم وتحكم عليها، وسوسيولوجيا وصفية تكتفي بفهم علاقة الفاعلين بها.

6. هانس يواس: القيم نتاجاً للخبرة والتشكّل التاريخي

يرى يواس أن القيم، تتبلور عبر تجارب تاريخية وصدمات أخلاقية ومسارات جماعية من الالتزام[37]. وبهذا يضيف إلى سوسيولوجيا القيم بعداً زمنياً يكاد يغيب عن جهاز هاينيش المنشغل بالمواقف، ويطرح سؤالين: كيف تتكوّن القيم؟ وكيف تكتسب سلطتها الإلزامية؟ ولهذين السؤالين راهنية خاصة في السياق المغربي، حيث تُقرأ تحولات القيم غالباً بلغة «الأزمة» لا بلغة التكوّن.

[35] Pierre Bourdieu, La distinction. Critique sociale du jugement (Paris : Minuit, 1979), I–VIII.
[36] Rudolf Rezsohazy, Sociologie des valeurs (Paris : Armand Colin, coll. « Cursus », 2006), P 9.
[37] Hans Joas, The Sacredness of the Person: A New Genealogy of Human Rights (Washington, DC: Georgetown University Press, 2013),pp 76–85, 93.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

خلاصة تركيبية

نخلص إلى أن سؤال القيم لم يكن هامشيًا في السوسيولوجيا، فقد ربطها دوركايم بالقوة الإلزامية الجمعية، وفيبر بالمعنى وبالحياد الأكسيولوجي، وزيمل بالطابع العلائقي، وبورديو ب الشرعية والهيمنة، وريزوهازي بالتحول النسقي عبر الزمن، ويواس بالتكون التاريخي والعملي.

أما مساهمة هاينيش، فقد فتحت موضوع القيم لأول مرة بوصفها موضوعا مستقلا. واعادت ترتيب هذا الإرث باتجاه سوسيولوجيا للقيم وصفية لا معيارية، إمبريقية لا تجريدية، براغماتية لا جوهرانية؛ سوسيولوجيا لا تسأل إن كانت القيم صحيحة في ذاتها، بل كيف يشتغل الفاعلون من خلالها، وأي دور تؤديه في إنتاج الأحكام والتبريرات والخلافات والشرعيات. وبهذا تتحرر القيم من بديلين طالما كبّلاها: فلسفة أخلاقية معيارية تجعل السوسيولوجيا امتدادًا لخطاب التقويم، ووضعية إجرائية تختزلها في بنود قابلة للقياس المباشر

وتميل التعريفات في المعاجم وفي الأدبيات العربية والمغربية، إما إلى المعيار الأخلاقي المطلق، كما عند طه عبد الرحمن، أو إلى التفضيل الجماعي، كما في تقرير البحث الوطني حول القيم. وتقدّم ثنائية التفضيل والتبخيس عند سبيلا، وإشارة البحث الوطني حول القيم، إلى كونها موضوع صراع، تقدمان مدخلا أقرب إلى المنظور البراغماتي، يمكن البناء عليه في أبحاث ميدانية تنطلق من ممارسات التقييم الفعلية.

خلاصة القول، إن قيام سوسيولوجيا للقيم رهين بالانتقال من الحكم على القيم إلى وصف علاقة الفاعلين بها، ومن السؤال عن ماهيتها إلى استعمالاتها في المواقف، ومن التأمل النظري الخالص إلى التحقيق الإمبريقي والبراغماتي. ولا يعني ذلك الاكتفاء بمشروع هاينيش؛ إذ يحتاج إلى بعد تاريخي يمنحه إياه يواس، وحساسية بورديو البنيوية، إنها دعوة إلى قراءته في حوار مع الإرث الذي سبقه وواكبه، ففي هذا الحوار تكتسب القيم بوصفها موضوعا للتفكير السوسيولوجي. ويبقى المجال التربوي بتوتره الدائم بين نقل القيم ودراستها، من أخصب الميادين لاختبار هذا الطرح.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

بيبليوغرافيا

باللغة العربية

-ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ط 3. بيروت: دار صادر، 1414هـ/1994.

-الجابري، محمد عابد. *العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية*. ط 2. الدار البيضاء، 2002.

-الجرموني، رشيد. «الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية: دراسة سوسيولوجية بعمالة سلا». أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2013.

-رشيق، حسن (مقرر). «التقرير التركيبي للبحث الوطني حول القيم». ضمن *تقرير خمسين سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق 2025*. الرباط، 2006.

-سبيلا، محمد. *في تحولات المجتمع المغربي*. ط 1. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2010.

-طه عبد الرحمن. *تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟* سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس 3. مراكش: جامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية، 2001.

-الفارابي، عبد اللطيف، وآخرون. *معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك*. سلسلة علوم التربية 9–10. الدار البيضاء: دار الخطابي، 1994.

بلغات أجنبية

-Boudon, Raymond. Le juste et le vrai. Études sur l’objectivité des valeurs et de la connaissance. Paris : Fayard, 1995.

-Boudon, Raymond, et François Bourricaud. Dictionnaire critique de la sociologie. Paris : PUF, 1982.

-Bourdieu, Pierre. La distinction. Critique sociale du jugement. Paris : Minuit, 1979.

-Champy, Philippe, et Christiane Étévé, dir. Dictionnaire encyclopédique de l’éducation et de la formation. Paris : Nathan, 1994.

-Durkheim, Émile. Sociologie et philosophie. Paris : PUF, « Quadrige », 2014 [1924].

-Heinich, Nathalie. « La sociologie à l’épreuve des valeurs ». Cahiers internationaux de sociologie 121, no 2 (2006): 287–315.

-Heinich, Nathalie. Des valeurs. Une approche sociologique. Paris : Gallimard, 2017.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

-Hitlin, Steven, and Jane Allyn Piliavin. “Values: Reviving a Dormant Concept.” Annual Review of Sociology 30 (2004): 359–393.

-Hitlin, Steven, and Stephen Vaisey. “The New Sociology of Morality.” Annual Review of Sociology 39 (2013): 51–68.

Joas, Hans. The Sacredness of the Person: A New Genealogy of Human Rights. Washington, DC: Georgetown University Press, 2013.

Latour, Bruno. Nous n’avons jamais été modernes. Essai d’anthropologie symétrique. Paris 1991.

-Lévy-Bruhl, Lucien. La morale et la science des mœurs. Paris : Félix Alcan, 1903.

-Raynal, Françoise, et Alain Rieunier. Pédagogie : dictionnaire des concepts clés. Apprentissages, formation et psychologie cognitive. Paris : ESF éditeur, 1997.

-Rezsohazy, Rudolf. Sociologie des valeurs. Paris : Armand Colin, coll. « Cursus », 2006.

Rocher, Guy. Introduction à la sociologie générale. T. 1, L’action sociale. Paris : Seuil, coll. « Points», 1970.

-Rokeach, Milton. The Nature of Human Values. New York: Free Press, 1973.

-Searle, John R. The Construction of Social Reality. New York: Free Press, 1995.

-Simmel, Georg. Philosophie de l’argent. Traduit par Sabine Cornille et Philippe Ivernel. Paris : PUF, 1987.

-Weber, Max. Économie et société. T. 1. Traduit sous la direction de Jacques Chavy et Éric de Dampierre. Paris : Plon, 1971

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

البيان والعرفان والبرهان: الجابري في نقد العقل العربي ومواجهة مشروع الغزالي

Bayān, ʻIrfān, and Burhān: Al-Jabri's Critique of Arab Reason and Confrontation with Al-Ghazali's Project

عثمان سك[1] /Ousmane SECK

باحث في سلك الدكتوراه، علوم التربية والتكوين

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة شيخ أنت جوب بدكار، السنغال

Seck6020@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مشروع المفكر المغربي محمد عابد الجابري في نقد العقل العربي، انطلاقاً من إشكالية مركزية مؤداها أن إصلاح هذا العقل يشكل الشرط الأساسي لأي نهضة منشودة. ويعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي المقارن، القائم على قراءة النصوص الأصلية للجابري والغزالي ومقارنتها بأبرز الدراسات النقدية التي تناولت مشروع الجابري. ولتحقيق ذلك، ينتظم البحث في أربعة مباحث متكاملة.

ويستعرض أولا الآليات المعرفية الثلاث (البيان، العرفان، البرهان) التي تشكل بنية العقل العربي عبر التاريخ. ثم ينتقل إلى معرفة كيف اعتبر الجابري أن هيمنة البيان والعرفان أدت إلى إجهاض العقلانية والحداثة، مما استدعى تبني البرهان كبديل معرفي.

ومن هذا المنطلق حاول أن يقف على مساءلة الجابري لحجة الإسلام، معتبراً أن مشروعه أسهم في تكريس اليقين البياني. كما تناول موقف الغزالي بين البرهان والمنطق والعرفان، ممحصاً التناقضات والتحولات في منهج الغزالي بين استخدام المنطق والبرهان تارة، والانصراف نحو العرفان تارة أخرى.

وقد خلص البحث إلى أن مشروع الجابري، رغم أهميته التأسيسية في تفكيك اللامفكر فيه، وقع في إشكالية منهجية كبرى؛ إذ لم ينجح في تجاوز الآليات البيانية التي انتقدها في قراءته للتراث. كما بالغ في تحميل الغزالي مسؤولية انحطاط العقل العربي، متجاهلاً السياقات التاريخية. وعليه، يوصي البحث بضرورة تجاوز ثنائيات الجابري، وقراءة التراث كوحدة معرفية متكاملة، لإنتاج خطاب نقدي عربي أكثر عقلانية وتنويراً.

الكلمات المفتاحية: البيان، العرفان، البرهان، الجابري، الغزالي.

[1] عثمان سك، باحث في سلك الدكتوراه، جامعة شيخ أنت جوب بدكار، كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين، قسم اللغة العربية، طبيعة المساهمة العلمية تتمحور في مشروع الفكري للجابري والغزالي.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

Abstract

This research analyzes the project of the Moroccan thinker Mohamed Abed Al-Jabri devoted to the critique of Arab reason, starting from the premise that reforming this reason is the essential condition for any desired renaissance. The study adopts a comparative critical-analytical method, reading Al-Jabri's and Al-Ghazali's original texts against the major critical studies devoted to Al-Jabri's project. It is organized around four main sections.

The first section examines Al-Jabri's triad in the construction of Arab reason, presenting the three epistemological mechanisms (Bayān, ‘Irfān, and Burhān) that have structured it throughout history. The second addresses Al-Jabri's critique of Bayān and ‘Irfān and his defense of Burhān, showing how he considers their dominance to have aborted rationality and modernity.

The third section is devoted to Al-Ghazali's project and the question of knowledge and certainty, examining Al-Jabri's claim that Al-Ghazali's project entrenched dogmatic certainty. The fourth section treats Al-Ghazali between Burhān, logic, and ‘Irfān, examining the shifts in his method between logic and Sufi gnosis.

The study concludes that Al-Jabri's project, despite its foundational importance, committed a major methodological error: it did not transcend the very bayānī mechanisms it denounced, and it overstated Al-Ghazali's responsibility for the decline of Arab reason while neglecting historical context. The research recommends moving beyond Al-Jabri's dichotomies and reading heritage as an integrated cognitive unity.

Keywords: Bayān, ‘Irfān, Burhān, Al-Jabri, Al-Ghazali.

مقدمة:

يُعد سؤال العقل من أكثر الأسئلة إلحاحًا في الفكر العربي والإسلامي الحديث؛ لأنه لا يتصل بمجرد طبيعة التفكير وآلياته، وإنما يرتبط كذلك بسؤال النهضة وإمكان استئناف الفعل الحضاري. فكل مشروع يسعى إلى إصلاح الفكر لا بد أن يواجه، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سؤالًا سابقًا على الإصلاح نفسه: ما طبيعة العقل الذي نريد إصلاحه؟ وما المرجعيات والآليات التي تشكلت من خلالها طرائقنا في الفهم والاستدلال وإنتاج المعرفة؟ ومن هنا لم يعد نقد التراث مجرد مراجعة للمقولات والآراء التي أنتجها السابقون، بل أصبح نقدًا للآليات التي جعلت تلك المقولات ممكنة ومؤثرة ومستمرّة في الوعي.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013